الفرنسوية والعربية) للاب يوسف حوري اليسوعي (١٨٦٧ . ثم ١٨٨١ . ص ٧٦٨ . ثم بمعجم صغير ١٨٨٨ و ١٨٩٣ . ص ٥١٢) = ٤ الفرائد الدرية في اللغتين العربية والفرنسية للاب يوحنا بلو اليسوعي (١٨٨٣ . ص ١٠١٩ . ثم ١٨٨٨ . ص ١٠١٥ . ثم ١٨٩٣ . ص ٩٦٠ . ثم ١٨٩٦ و ١٨٩٨ و ١٩٠٠ . ص ١٠٠٠) = ٥ قاموس فرنساوي عربي كبير له (١٨٩٠ و ١٩٠٠ . جزءان . ص ١٦٠٧) = ٦ مختصر القاموس السابق له (١٨٩٢ . ص ٧٨٨) = ٧ الفرائد الدرية في اللغتين الانكليزية والعربية للاب يوسف حواء (١٨٩٩ . ص ٩١٠)

(ستأتي البقية)

ليلة الاهوال

معرّبة عن الافرنسية بقلم شاكر افندي ابي ناضر (تابع لما سبق)

وما قطع هذا الفتى قسماً كبيراً من تلك المفازة الشجراء حتى كبر عليهِ الوهم ولم يرَ في تلك الطريق سوى بعض سائقي العربات والباعة وقد جنَّ عليهِ الليل وسحب الريح اذيال القتام على الحضيض امامهُ واشتدَّ السواد وتلبَّد الدجى حتى كاد لا ينظر الطريق وكان لهُ من الجوع داعٍ للسرعة ليس اقل شدةً من داعي الراحة بعد التعب . وتذكر آنئذٍ بيت ابيهِ حيث كان جالساً مساء ذلك اليوم امام نار مشبوبة تغلي فوقها قدر فيها بعض البقول

غير انَّهُ لم يجعل لصروف الزمن سبيلاً الى ترويعهِ بل شدَّ عزيمتهُ وتوغَّل بالسير في تلك الظلمات الكثيفة . وبينما هو في هذه الحالة واذا بنور يرمي شعاعهُ بين الضباب عن بعد في تلك الصحراء فانعش منظرهُ قلب الفتى الدنف فانهُ ظنَّ بذلك انهُ وصل الى حدٍ انتهى عندهُ العذاب ولاح لهُ بعد ذلك ان الامر لم يكن الا كبرق خلَّب او سراب لان ذلك النور سُدِل دونهُ الحجاب وأرخى وراءهُ الغيهب جلباباً فوق جلباب . غير انهُ لم يكن كلمح البصر حتى ظهر تكراراً فتيقَّن الفتى انهُ قرب من منزلٍ يستريح فيهِ وقد رأى على غرةٍ خرابات في تلك الارض المتقطعة فلم يشكَّ انَّهُ فندق البغالين الذي كان يظنّ انهُ تجاوزهُ منذ مدةٍ طويلة

وقد حكم ان المسافة التي عليهِ ان يقطعها بعدُ بعيدةٌ فتنازع قلبهُ من جهة الرخاء والراحة ومن جهة سوء ظنهِ بالفندق لما سبق وعلم عنهُ من المساوئ فاخذ يضرب اخماساً

باسداس ويقدم رجلًا و يؤخر اخرى ثم قال في نفسهِ : ليس عليَّ سوى ليلة اقضيها في هذا الفندق فمهما كانت تكن لا بأس منها ولعلّي لم أُصب بتصديق ما قال لي ذلك الكهل الفقير . ومن يعلم ما يكون السبب الذي من اجلهِ نهاني عن المبيت في هـذا الفندق فقد يكون ذلك ناجمًا عن اكراه مجرَّد غير مستودٍ او يكون سببهُ انهُ طلب من صاحبهِ حسنةً فضنَّ ذلك بها عليـهِ . هذا واني لم يسبق لي معرفة بهِ حتى اقف عند كلامهِ وآخذ بقولهِ

وبينما هو يفتكر في امرهِ على الصورة الموصوفة اذا بكلبٍ رمى بنفسهِ من جدار الحظيرة الى الطريق واخذ ينبح جهدهُ ثم فُتح باب الفندق وظهر منهُ شبحٌ فاذا هو رجل عريض المناكب سمينها وانتهر الكلب لساعتهِ والتفت بعد ذلك الى الفتى وقال لهُ بصوت رخيم : لا تخشَ ايها الفتى فان « دارا » تنبح نباحًا قويًا لكنَّها لا تعضّ احدا فلو كان « ميلور » لكنت قدَّرت انيابهُ حقَّ قدرها فانهُ من الكلاب الضارية لا اتجرأ اتاٍ على التقرُّب منهُ وهو الان مربوط الرأس بسلسلةٍ من حديد في الفناء أبقيهِ هناك لوقوع حوادث مهمَّة . واننا نقبل عندنا المشاة والحيالة فان شئت ان تنزل في منزلنا فاهلًا بك وسهلًا فانَّ ضيفنا ليس اقلّ حظٍّ من ضيف غيرنا

ولمَّا رأى صاحب الفندق الفتى متردّدًا بين الدخول والذهاب قال لهُ : ايهـا الفتى بتَّ عندنا هذه الليلة فان السير فيها غير موافق لان المطر قريب الوقوع

امَّا الفتى فاستمالهُ كلام صاحب النزل هذا وعزم على قضاء ليلهِ في ذلك الفندق

ولما دخل الى اوَّل حجرة منهُ رآها ردهةً ومطبخًا معًا رفيهـا مصباحٌ من اقبح المصابيح شكلًا ونورًا ورأى جميع ما هنالك من الادوات وسخًا وهو لم يتعوَّد منـذ الصغر الّا على النظافة والترتيب فكيف بهِ وقد رأى الجدران مدهونًا بالزيوت مطلّى بالغبار لهُ منظرٌ تشمئزّ منهُ النفوس وكان ثمَّت هواء وخمٌ مفسود وقد خمدت النار تحت الرماد وانطفأت الامر الذي دلّ على ان صاحب المحل قلما يشعل النار فيهِ . فتذكر الفتى حينئذٍ ذلك الفقير ونصيحتهُ وندم ولات حين ندم . غير انهُ غضَّ من طرفهِ ووضع صرَّتهُ على احدى الخزانات هناك وانطرح على احد الفرُش وقد اعياهُ تعب الطريق

فقربت منهُ حينئذٍ امرأة صاحب الفندق وهي مثل زوجها غلاظةً وفظاظةً وعليها لباس قذر منطبق على جسمها كل الانطباق وهو من الوسخ على شاكلـة غيرهِ من

الأثاث في المنزل وكان يبدو في حركاتها تراخ وبطوء دلَّ على انَّها لم تتعوَّد خدمة الضيوف بعد وانَّما تظاهرت باكرام الضيف وشرعت تسأل الفتى سؤالات شتى فقالت: هل انت آتٍ من مكانٍ بعيـد ؟ وهل تريد ان تتناول طعاماً ؟ واني لا شكَّ اعدَّ لك فراشاً وثيراً. سُر ما بدا لك. امَّا الفتى فاجابها بكل لطف على سؤالها واندفع يقص عليها ما فعلهُ بذلك النهار وقد تروَّحت نفسهُ بذلك واطلعها على الاسباب التي حملتهُ ان يسافر ماشياً غير انهُ لم يذهل ان يخفي عليها ما عندهُ من الدراهم. امَّا تلك المرأة فقد انخدعت بما رأت في حركات الفتى وحديثهِ من الأدب والظرف وظنَّت انهُ من الثروة على جانب عظيم. ولما كانت تعوَّدت ان تبذل من الاعتناء في الخدمة بقدر ما كانت تتأمَّل كسبهُ من المال نشطت للحال نشاطاً وفرشت من الهنة بساطاً واخذت تعتني بطبخ الطعام

ولم يمرَّ عليها برهة من الزمن حتى وضعت حزمة من الحطب فاشتعلت وبدا منها ألسنة من اللَّهب فتقرَّب الفتى من النار يصطلي عليها وقد تروَّح شيئاً فشيئاً ولم يزل كذلك حتى نسي ما مرَّ بذهنهِ من الهموم عند دخولهِ ذلك المحلَّ المشئوم

وبينما هو يتآنس باهل ذلك المنزل ويتجاذب اطراف الاحاديث معهم والحديث ذو شجون فاذا بضيفٍ جديد اقبـل على المنزل وفي يدهِ كيسٌ من جلد ودخل فظهر انَّهُ رجل كهل عليهِ هيبة ووقار ولهُ شعر ابيض زادهُ كمالاً وجلالاً. ثمَّ وضع كيسهُ على كرسيّ هناك وتقـدَّم فجلس قرب النار وحينئذٍ طفق صاحب المنزل وامرأتهُ يكثران من عبارات الترحاب والتكريم وهو غير مبالٍ بهمـا. ثمَّ قام بعد ان اصطلى على النار واخرج من جيبهِ بعض اوراق ظهر انَّها مهمَّة جدًّا وبدأ يفحصها بتمعن ودقَّة

وفي اثناء ذلك كان الفتى يقلِّب الطرف في هذا الرفيق الذي اتاحهُ لهُ القدر وقد علم من غير ان يحتاج الى علم الفراسة ان ذلك الرجل من علماء الحقوق والفقهاء

وكان ذلك الرجل في واقع الحال كاتب السجلات في ذلك القضاء راسخ القدم في الشريعة معروف عند الخاصَّة والعامَّة انهُ من اهل الاقدام والفضل ملتزم جانب الحقّ والعدل. وقد انفذه قاضي تلك الناحية الى منزل رجل في بعض القرى احب ان يسجل وصيَّتهُ فعاد من تلك القرية حاملاً صرَّةً من الدراهم والدنانير استلمها حتى يحفظها في جملة الامانات عنده وقد اعاقه في سيرهِ ما تجشَّمهُ من وعر الطريق ولم يحتر السُرى خوفاً

من لصّ عرا اذا ما عسعس الليل فيسلب المال منه. فعرّج على فندق البقّالين وعمد على المبيت فيه

وقصارى الكلام ان تلك الظروف السيئة التي دفعت هذين الضيفين ان يمسيا في ذلك الفندق اعدّها صاحب الخان من اسباب الكسب بحسبما قال الشاعر: « مصائب قوم عند قوم فوائد » لانه كان من النادرات ان يأوي احد من ابناء السبيل الى ذلك النزل المنفرد الذي ما كان يطرق بابهُ الّا بعض اهل السابلة يحطّون فيه عصا الترحال ريثما يأكلون ويشربون وتأخذ مطاياهم قليلًا من الراحة ثمّ يتزملون ويتوجهون الى حيث يقصدون

وفي تلك الاثناء تبادل صاحب الفندق وامرأته بعض الاستشارات والرموز بصورة خفية امكن للفتى ان يدركها لو كان منتبهاً لكنهُ كان مستغرق الفكر في اعداد لوازم راحته منهمكاً بحاله انهاكاً لم يقوَ معه على الاصغاء الى ما انعقد من المناوأة في تلك المؤامرة التي جرت بين المرأة وبعلها وهو في غفلة عنهما

وبادرت بعد ذلك تلك المرأة فوضعت على طبق واسع زوجين من الصحون مسحتهما كيفما اتفق لها ثم جاءت بارغفة من الخبز وقليل من النبيذ وقطعة من لحم الخنزير وبعضاً من الاسماك

والكلب الذي استقبل الفتى بالنباح كان يدور حول تلك المائدة ويطوف شامخاً بانفه وقد اخذتهُ هزّة من الطرب وشرهت نفسه وانعقد املهُ انه يفوز بحصة من تلك المآكل وقد مرّت مدة ولم يلتهم شيئاً يسكن به ما اصابهُ من الجوع فانه طاف حول تلك المائدة اولًا وثانياً وثالثاً ريثما سكنتهُ الفرصة فنهض على رجليه وتطاول فالتهم رغيفاً وهرب بهِ الى زاوية خالية

اما صاحبة الفندق فقد لاحظت ذلك وقامت مسرعة وتناولت سفوداً حامياً وقد تأثرت الكلب الذي ارتكب جرماً مشهوداً وهي ترعق بهِ زعقاً وكادت تتميز من الغيظ ثم قالت: ايها الكلب اللئيم تباً لك فانك طالما حاولت ان تذوق طعم الخبز وانا ساذيقك طعم الحديد الحامي فلا تعود بعد ذلك الى هذه الفعلة الشنعاء.

قالت: وطفقت تضرب الكلب بالسفود حتى أشبعتهُ ضرباً وهذا لم يلتوِ بل على

اخذتهُ وقد حملق بالمرأة وهو يزأر زئيرًا اخافها منه فولّت الى الورآء وصاحت الى بعلها تطلب المدد

وكان ذلك امرًا من شأنه ان يضحك الثكلى فضحك من اجله كاتب السجلات اما الفتى فاخذ يناصر الكلب وانتصب يحامي عنه فقال: يا خالة ان هذا الكلب لم يعد لهُ طاقة على تحمّل الجوع وانتِ اجتريتِ منه جزاء كبيرًا على ذنب صغير فجاء خارجاً عن القياس لا يقبل بهِ احد من الناس

فقالت: ان ما قلته لعجب ايها الفتى. اترى من الصواب ان يرمى الخبز الابيض الى الكلاب؟ فالظاهر يا صاح انك اصبت ثروةً بلا عناء وتعب

فقال: انني لا اعرف جنس الخبز الذي تطعمينه الكلب هذا ولكن الامر يدل على انك تعذبينه بضرب العصيّ ولا اخال ان ذلك من ذوقهِ فباقه عليكِ دعيه ياكل هذا الرغيف وانا ادفع لكِ ثمنه مهما بلغ

فقالت: قبلتُ ولم تتمالك من كظم غيظها عليه

ودخل بعد ذلك بعلها فقصت عليه ما جرى بينها والكلب والفتى فقام ورفس الكلب رفسة شديدة جعلتهُ يترك بعدها الرغيف ويتوارى فتناولهُ حينئذٍ واعادهُ فوضعهُ على الطبق. ثم نظر الى الفتى شزرًا وقال: لك الخيار ان تفعل ما بدا لك. فمدَّ الفتى يدهُ واخذ الرغيف وشرع يصفر للكلب فتقرب منه وهو على حذر كانهُ خائف ان يكون في ذلك شرك يقع فيهِ فتجنبه وقام بعيدًا امامه. فطفق الفتى يكسر من ذلك الرغيف ويرمي امام الكلب والكلب يأكل حتى نفذت فقال الفتى: ان الجوع عضّ الكلب بنابه فأنهكه

فقال كاتب السجلات وقد آنس من الفتى رقة ولطفًا: اصبتَ ايها الفتى فان الكلب اوشكت قواهُ تخور جوعًا. ويعجبني ان تأخذ الشبان شفقة على الذي المت بهِ المصائب واني اراك رقيق القلب كريم الطبع واني واثق انك لا تردّ دعوتي لك الى تناول الطعام معي الآن

قال فاحنى الفتى رأسهُ دلالة على قبوله تلك الدعوة مع الشكر فجلسا معًا حول مائدة الطعام وكان صاحب السجلات يلاطف الفتى ملاطفةً تشفُّ عن شدّة تعلقه بهِ واخذ يسأله عما جرى لهُ من الحوادث فارتاح اليهِ الفتى وقصّ عليهِ جميع ما جرى

لهُ من اوله الى آخره وكان ذلك الكاتب صاغياً اشد الاصغاء لما كان ينقله لهُ الفتى من الاحاديث وهكذا فرغا من الاكل وتقدما الى النار فجلسا حولها وحينئذٍ اخرج كاتب السجلات لفافةً من التبغ فأشعلها وقدم للفتى لفافة اخرى فاخذها هذا وشكر بلطف وادب

ثم قال لهُ الكاتب: ان هذا الكهل الفقير الذي التقيتَ به في الطريق لنادرة زمان أليس هذا حكمك فيه ؟ فقال الفتى: ان القليل الذي علمتهُ منه جعلني ان اتعجب منه كثيراً فانه يقبل صدقة المحسن ولا يرى انهُ فقيراً

فقال الكاتب: هذا واقع حاله ولا عجب فان الحسنة تأتيه عفواً بلا طلب وان في ذلك سراً لا تدركهُ الّا اذا وقفت على قصته وعلمت ما تابه من النوب ولا بد ان يكون حكى لك عنها او اطلعك على شيء منها

فقال: لم ادع لهُ فرصةً للمقال لاني حينئذٍ كنت مشغول البال

قال: اني اتأسف على ذلك فلو جعلت لهُ مجالاً للتكلم لكنت عجبت مما هنالك فان حياته كتابة من نسيج كلهُ تحف غرائب يبسطه للطالب وهو باسم الثغر منشرح الصدر فانه نديم هذه الناحية وقد اخذ بمجامع قلوب اهلها

ثم توسع الكاتب بالكلام عنه حتى يزيد الفتى بهِ علماً وبعد ذلك قال لهُ: قد آن وقت الراحة ومن نيتي ان اباكر هذا الفندق غداً عند طلوع الفجر غير انا نقدر قبل الخروج منه ان نتناول الطعام معاً فوافقهُ الفتى على دعوته هذه فتوافقا واستودع كل منهما صاحبه وادى كلٌ منهما الى حجرته (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

BIBLIOGRAPHIE DES OUVRAGES ARABES OU RELATIFS AUX ARABES
publiés en Europe ds 1810 à 1885
par V. Chauvin 4° fasc. Liège, pp 218.

فائمة الكتب العربية او المتوطة بالعرب التي نُشرت بالطبع في اوربّة من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥ (الجزء الرابع)

قد مرَّ في المشرق (١ : ٩٣ و ٧١٧) تعريف الاقسام الاولى من هذا التأليف